مرتبة الإحسان (خطبة)



سعد محسن الشمري

تاريخ الإضافة: 1/2/2023 ميلادي - 9/7/1444 هجري

الزيارات: 8548

مرتبة الإحسان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله، إن مقام الإحسان من مراتب الدين العظيمة، والتي هي: الإسلام والإيمان والإحسان، فأجلُّ هذه المراتب مرتبة الإحسان، الذي فيه كمال العبودية لله عز وجل، وتمام المراقبة لله عز وجل، ومعناه في عبادة الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)) [1].

وذلك أن العبد يتقن العبادة ويحسِّنها، ويأتي بها على الوجه الذي أمر به الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، فحريٌّ بالمرء أن يجاهد نفسه حتى يكون من أهل الإحسان الذين يحبُّهم الله عز وجل، والله محسن يحب المحسنين؛ بل ما خلق الخلق إلا ليظهر المحسن من المسيء ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: 7]، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2]، فالإحسان مع الله تعالى أن تعبده حقَّ عبادته، وأن تأتمر بأمره، وأن تنتهي عن نهيه، وأن تتقيه حقَّ التقوى.

يستحضر العبد قرب الله عز وجل منه، واطِّلاعه عليه، وأنه بين يديه كأنه يراه؛ مما يوجب ذلك خشيته والخوف من الله عز وجل، والهيبة من الله عز وجل، وتعظيم الله عز وجل، وإخلاص العبادة لله عز وجل ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 112].

ومن معاني الإحسان عباد الله أن تخلِّص عبادتك من البِدَع والمحدثات، تتعبَّد الله عز وجل بما شرع وعلى سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أكمل هدي وأحسنه هو ما كان عليه نبيُّنا صلى الله عليه وسلم الذي قال: ((مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ))[2].

ومن معاني الإحسان: الإحسان إلى خلق الله عز وجل؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فأول من تحسن إليهم هما والداك اللذان هما سبب وجودك، وهما سِرُّ حياتك وبقائها، لهما عليك من الفضل والإحسان ما لا تستطيع أن ترد منه شيئًا أبدًا، وإن الله قد أمرك بالإحسان بهما: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ [الأحقاف: 15]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يَجزي ولدٌ والِدَه، إلا أن يجدَه مملوكًا فيشتريه فيعتِقَه))[3]، وأن تحسن عبد الله إلى الناس بقولك وفعلك، ولا سيَّما مع أقربائك وإخوانك وأصحابك وجيرانك: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: 53].

ومن أنواع الإحسان الإحسان إلى البهائم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[4].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة: "بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ فقالَ: ((نَعَمْ، في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ))"[5].

نسأل الله أن يجعلنا من المحسنين، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب يغفر لكم إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عباد الله، إن مقام الإحسان مقام عظيم ومسلك كريم، جعل الله عز وجل فيه من الفضائل والمكارم ما يجعل المرء يجدُّ ويجتهد في بلوغ هذه المرتبة العظيمة من الدين، فالله سبحانه يحب أهل الإحسان ويقربهم ويدنيهم ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: 56]، فرحمة الله تغشاهم حتى يأمنوا من كل شرٍّ، ويسلي الله عز وجل المحسنين بمعيته نصرًا وتأييدًا وحفظًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: 128]، ويجزيهم عن إحسانهم إحسانًا ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: 60]، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26] ﴿ الْحُسْنَى ﴾: الجنة التي بلغت في الحسن غايته ومنتهاه، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾: هي النظر إلى وجه الله الكريم.

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يرزقنا الحُسْنى وزيادة، ثم لتعلموا عباد الله أن الاجتهاد في تحصيل هذا المقام الرفيع إنما هو إحسان إلى النفس التي نسمو بها إلى أنبل الغايات وأعظم المطالب ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: 9، 10].

نسأل الله أن يجعلنا من المحسنين المتقين.

---

[1] متفق عليه.

[2] متفق عليه.

[3] صحيح أبي دواد، 5137.

[4] صحيح مسلم، 1955.

[5] صحيح البخاري، 6009.
